الأستاذة نجمة زقرور

فقه اللغة
السنة الأولى ليسانس
جامعة عبد الرحمان ميرة

التضاد

2025 – 2024

تمهيد لقد أولت الدراسات اللغوية العربية القديمة والحديثة أهمية لظاهرة التضاد، حيث أُلّفت كتب عديدة في هذا المجال، ومن بين علماء العرب القدامى الذين لهم كتب حول التضاد نذكر:
أضداد قطرب، أضداد أبى حاتم، أضداد ابن الأنباري وأضداد أبي الطيب اللغوي...

1.مفهوم ظاهرة التضاد

1.1 لغة واصطلاحا

التضاد في اللغة العربية مشتق من (الضد) وهو الخلاف. ضد الشيء وضديده وضديدته: خلافه هو " إذا وصل التباين بين معنيين مشتركين في لفظ واحد إلى درجة التناقض والتعاكس أعتبر هذا اللفظ من الأضداد"، فالتضاد هو علاقة بين كلمتين أو أكثر تكون دلالتهما متقابلة أو متعاكسة، بحيث إذا دلّت إحداهما على معنى فإنّ الأخرى تدل على نقيضه أو ضده، وتعدّ التضاد من الظواهر الدلالية المهمة التي تُثري المعجم اللغوي وتُسهم في الدّقة التفسيرية وفي الإيضاح والتوكيد.

هناك من المعاجم الحديثة التي تارة تستعمل مصطلح (متضاد) وتارة أخرى مصطلح (معاكس) ؛ الأبيض متضاد مع الأسود أو الأسود معاكس للأبيض، وعليه تؤدي ظاهرة التضاد دورا مهما في تجديد معاني الألفاظ وتقريبها إلى الذهن (التضاد = النقيض، الضد، الخلاف). قال ابن فارس: " ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو (الجون) للأسود و(الجون) للأبيض" (ابن حويلي الأخضر ميدني، المعجمية العربية)

2. ظاهرة التضاد عند اللغويين العرب القدماء

حظيت ظاهرة التضاد، كما سبق ذكره أعلاه، في التراث اللغوي العربي باهتمام كبير من قِبل اللغويين والبلاغيين، كونها سمة بارزة من سمات اللغة العربية، تعكس غناها الدلالي ومرونتها التعبيرية. وهذه آراء بعض اللغويين العرب القدماء حول هذه الظاهرة:

•يشير أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه (مجاز القرآن) إلى أنّ القرآن الكريم استخدم التضاد كأداة بلاغية، ويُلاحظ أن بعض الألفاظ تُستعمل في معنيين متقابلين بحسب ورودها في السياق.

مثلًا: قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ (الحاقة/24) وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (الانشقاق/10)، فـ"الوراء" قد تعني "الأمام" بحسب السياق.

❖ الزجاجي (ت 337هـ)
- كتاب الإيضاح في علل النحو

أشار الزجاجي إلى أن **التضاد** ظاهرة تتجلى في بعض الألفاظ بحسب الاشتراك اللفظي، ويؤدي السياق الذي ترد فيه هذه الظاهرة دور الفهم والافهام.. يرى الزجاجي أن التضاد ليس عيباً في اللغة، بل هو دليل على سعتها وثرائها.

يعد ابن جني من أبرز من تناول التضاد بوصفه ظاهرة دلالية لافتة. وناقش هذه الظاهرة من زاوية الصوت أيضا، وأشار إلى أن التضاد يمكن أن يوجد في الكلمة الواحدة في حالات خاصة. حيث قال:

"وقد يقع الضدان على الاسم الواحد، وذلك كقولهم: الجون، يكون أسود ويكون أبيض... وكذلك القرء، يكون الطهر ويكون الحيض".

ويرى أن هذا الأمر ليس عيبا بل يثري اللغة وفصاحتها.

- رأى ابن جني أن اللغة العربية تقبل التضاد في الألفاظ، ويُعلّل ذلك بمرونة السياق وقدرة المتكلم على إيصال المعنى المقصود بحسب المقام.

(ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهلال، ج1، ص213.)

- ابن جني (ت 392هـ) – كتاب الخصائص

❖ابن فارس (ت 395هـ) - كتاب الصاحبي في فقه اللغة

•ميّز ابن فارس بين الاشتراك والتضاد، واعتبر أن وجود كلمات تدل على معنيين متضادين يدل على الطاقة الاشتقاقية للغة. " باب واسع يدلك على فصاحة القوم"

-"وقد تجد الكلمة تدل على الشيء وضده، كقولهم: (باع) تدل على البيع والشراء". فالتضاد من خصائص اللغة العربية، وأنه لا يتنافى مع الاتساق اللغوي. ويبرّر وجود الكلمات المتضادة في اللغة بكونها دليلًا على سعة اللغة وغناها

(ابن فارس، *الصاحبي في فقه اللغة*، تحقيق: أحمد حسن مهدلي ومحمد خلف الله أحمد، دار الكتب العلمية، ص 117)

❖الجرجاني (ت 471هـ) – في كتابه دلائل الإعجاز

- يرى الجرجاني أن التضاد أسلوب من أساليب البلاغة، ويسهم في إبراز المعنى وتقويته من خلال المقابلة، وهي شكل بلاغي من التضاد.
- يقول:

"واعلم أن التضاد والمقابلة مما يُجمّل الكلام ويُقوّي المعنى."...

(عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني).

- تناول السكاكي ظاهرة التضاد من زاوية بلاغية، وبيّن أن التضاد يُستخدم لزيادة التأثير، ويدخل ضمن أساليب المقابلة في علم المعاني.
- ربط بين التضاد والأسلوب الخطابي الذي هو بمثابة وسيلة لإبراز المعنى وتقويته.

❖ السكاكي (ت 626هـ) – كتاب *مفتاح العلوم*

3. أنواع التضاد

1.3 التضاد الحاد

(الحي ـ الميت)، (أنثى ـ ذكر)، (أعزب ـ متزوج) وهو النقيض عند المناطقة، لأن (النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، ولا يصدقا معا ولا يكذبا معا)

2.3 التضاد المتدرج

كقولنا الحساء ليس ساخنا، لا يعني أنّه بارد، وهذا ما يسمى بالتضاد النسبي، فعندما نقول (الجو بارد) فنحن نضع تضاد داخلي بينه وبين (الجو حار). ممّا يؤدي إلى أن الجو دافئ أو يميل إلى البرودة. مثل:

الشوارع ـ الأزقة)؛ الشوارع =معنى متسع، والأزقة = معنى ضيق

4. أسباب وقوع التضاد في اللغة العربية

1. الاشتراك اللفظي

•هو أن تكون الكلمة الواحدة تحمل أكثر من معنى، وقد تكون هذه المعاني متضادة.

•مثال: *(القرء)* يدل على الحيض وعلى الطهر، بحسب السياق.

•السبب: تطور المعاني اللغوية واختلاف استعمالاتها بحسب الزمان والمكان.

(ابن جني، *الخصائص*، ج1، ص213.)

2. تطور المعنى عبر الزمن (التطور الدلالي)

•قد يتغير معنى الكلمة مع مرور الزمن أو تنتقل دلالتها من معنى إلى آخر، أحياناً إلى ضدها.

•مثال: *(باع)* كانت تعني البيع، لكن بعض اللغويين القدماء أشاروا إلى أن العرب قد تستخدم "باع" أحيانًا في معنى الشراء، وذلك على سبيل الاشتراك أو التضاد في الاستعمال، وهو ما يُعرف بظاهرة *الأضداد*.

- وردت إشارات في المعاجم القديمة أن بعض العرب كانوا يقولون: *"بعتُ هذا بثمن كذا"* ويقصدون :اشتريته.

- وأورد الزمخشري في *أساس البلاغة*:

"يقال: باع الشيء وباع منه، أي اشتراه، وهو من الأضداد".

- والسياق طبعا، هو الفيصل بين المعنيين.

مثلاً:

- إذا قلت: *باع الرجل ثوبه بدرهم*، فالمعنى غالبًا هو البيع.
- وإذا قلت: *باع الرجل من السوق ثوبًا*، فقد يُفهم على أنه اشترى، خصوصًا في لهجات أو أساليب معينة.

3. المعنى الحقيقي والمجازي

قد ينتقل اللفظ من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي؛ حيث يستعمل لأغراض مختلفة، مثلا: يطلق لفظ البصير على الأعمى (للتفاؤل)، أو "الرجل طويل" و"الرجل طويل اللسان"

طويل (في الأولى): تعني الطول الحقيقي للجسم ← معنى حقيقي.

طويل اللسان (في الثانية): تعني الوقاحة أو كثرة الكلام الجارح (معنى مجازي).

المعنيان متضادان في القيمة: الطول في الأول ممدوح، وفي الثاني مذموم.

فالانتقال من المعنى الحقيقي إلى المجازي (أو العكس) قد يجعل الكلمة تُستخدم في دلالتين متضادتين، لكن دون أن تكون اللغة مختلّة. بل إن هذا يُعدّ من ثراء اللغة العربية ومرونتها التعبيرية، ويُبرز قدرة السياق على توجيه المعنى.

5. التضاد في القرآن الكريم

قوله تعالى:

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ النجم: 43]

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ النجم: 44

فَأَمَّا مَن أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ . وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ . وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ الليل: (5 .10)

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ التوبة: 82

الخلاصة

- التضاد في القرآن ليس مجرد أسلوب لغوي، بل هو وسيلة لتوكيد المعنى وتثبيته في الذهن.
- يُسهم في الإيقاع الموسيقي للنص القرآني، ويُعزز الجمالية التعبيرية.

- التضاد ظاهرة معترف بها في العربية، لها أسباب لغوية (مثل الاشتراك اللفظي) وأدبية (مثل التوكيد والبلاغة).
- السياق هو الحاكم في تحديد المعنى المراد عندما تحمل الكلمة أكثر من دلالة.
- لم يُنظر إلى التضاد كإشكال لغوي، بل كدليل على طواعية اللغة وغناها.